تبيين دور التوحيد الاجتماعی فی إعادة بناء الهوية الحضارية للمسلمين: مقاربة مواطن الحضارة الإسلامية

محمدعلی میرزایی

أستاذ مساعد، جامعة المصطفى العالمية، قم، إيران **(المؤلف المسؤول).**

ma.mirzaei@urd.ac.ir

زهرا حلیمی

طالبة دكتوراه فی تخصص التيارات الكلامية المعاصرة، فی مجمع بنت الهدى للتعليم العالی، جامعة المصطفى العالمية، قم، إيران.

z.halimi90@gmail.com

الملخص

يواجه العالم الإسلامی فی العصر الراهن أزمة عميقة فی الهوية الحضارية؛ أزمة تتجلّى فی أبعادها السياسية والثقافية والاجتماعية والفكرية، من خلال مظاهر التفرّق بين المذاهب والشعوب الإسلامية، والضعف البنيوی للمؤسسات الدينية والاجتماعية، والانفصال عن القيم والمبادئ الأصيلة للإسلام. ولم تؤدِّ هذه الحالة إلى إعاقة تشكّل هوية موحّدة وحيوية بين المسلمين فحسب، بل مهّدت الطريق أيضًا لتغلغل وانتشار الخطابات غير التوحيدية والعلمانية والإلحادية فی المجتمعات الإسلامية .وتكمن الإشكالية الرئيسة التی يتناولها هذا البحث فی أن جزءًا من هذه التحديات يعود إلى التراجع التدريجی لمفهوم التوحيد، من كونه مبدأً اجتماعيًا وحضاريًا فی صدر الإسلام، إلى مجرّد قضية نظرية وكلامية. هذا التراجع أدّى إلى تهميش الأسس الاجتماعية والأخلاقية والحضارية للتوحيد، مما أسفر عن ضعف فی التماسک والعدالة وتحمل المسؤولية داخل الأمة الإسلامية .ويهدف هذا البحث إلى تحليل وتبيين دور التوحيد الاجتماعی بوصفه أساسًا فكريًا وعمليًا فی إعادة بناء الهوية الحضارية للمسلمين، ومواجهة الخطابات غير التوحيدية .يركّز هذا البحث على مقاربة "مواطن الحضارة الإسلامية "من خلال تصميم إطار عملی يتمثّل فی "ميثاق المواطنة فی الحضارة الإسلامية"، ويسعى إلى بيان أن إعادة قراءة التعاليم التوحيدية على المستويات الاجتماعية والسياسية والحضارية، من شأنها أن تمهّد الطريق لإحياء الهوية الفردية والاجتماعية للمسلمين، وتعزيز تماسک الأمة الإسلامية وحيويتها، وتهيئة الأرضية لظهور حضارة إسلامية جديدة فی العصر الراهن .وعلاوة على ذلک، ينطلق هذا البحث من فرضية مفادها أن إحياء التوحيد الاجتماعی فی نمط حياة المواطن المسلم لا يتيح فقط إمكانية إعادة بناء الهوية، بل يوفّر أيضًا فرصة لإعادة هندسة العلاقات الاجتماعية والمؤسسية، وذلک استجابةً للاحتياجات العملية

للمجتمع الإسلامى المعاصر .تمّ اعتماد المنهج الوصفى ـ التحليلى فى هذا البحث، مع اتباع مقاربة استنتاجية تستند إلى المصادر الإسلامية الأصيلة وآراء المفكرين والعلماء المسلمين المعاصرين. وتُظهر نتائج البحث أن التوحيد الاجتماعى، بما يتجاوز كونه مبدأً كلاميًا أو اعتقاديًا، يُعدّ الأساس الجوهرى للتضامن والعدالة الاجتماعية، وتحمل المسؤولية المتبادلة، ولا سيما وحدة الأمة الإسلامية . وعندما يُعاد تعريف هذا المبدأ ويُفعّل فى مستوى نمط الحياة، والنظام التعليمى، والبُنى الاقتصادية، والسياسات الاجتماعية، متجاوزًا بذلك الطابع النظرى والتجريدى، فإنه يستطيع أن يؤدى دورًا استراتيجيًا فى تعزيز الكرامة الإنسانية، وتوزيع الفرص بشكل عادل، ونشر العلم والتقدم، ومكافحة الظلم والفساد، وتقوية رأس المال الاجتماعى، وترسيخ ثقافة التعايش السلمى داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها .وتُبيّن نتائج هذا البحث أن مقاربة "مواطن الحضارة الإسلامية"، بالاستناد إلى التعاليم التوحيدية، تمتلك قدرة عالية على تربية جيل جديد من المسلمين، يكون ملتزمًا بالقيم الإسلامية الأصيلة، ويشارك بفعالية ومسؤولية وأخلاقية فى المجالات الاجتماعية والعلمية والثقافية .استنادًا إلى ما سبق، يسعى هذا البحث من خلال اقتراح "ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية "بوصفه إطارًا نظريًا ـ عمليًا، إلى ترقية مبادئ مثل التوحيد، والكرامة الإنسانية، والعدالة باعتبارها منظّمة للعلاقات الاجتماعية، والأخوّة الإسلامية، ونمط الحياة التوحيدى، من مستوى التعاليم المجردة إلى مستوى الالتزامات السلوكية والمؤسسية والبنيوية .ويؤكد هذا الميثاق، فى بُعده النظرى، على العودة إلى المبادئ الأصيلة للتوحيد الاجتماعى، وفى بُعده العملى، على تجسيد قيم مثل السعى للعلم والتقدم، ومكافحة جميع أشكال التمييز والفساد، وترسيخ التعايش السلمى. كما يمكن لهذا الميثاق أن يعمل بوصفه وثيقة استراتيجية للمؤسسات التعليمية والثقافية والاجتماعية فى الدول الإسلامية، ويقدّم نموذجًا مشتركًا للمواطنة الإسلامية يجمع بين البُعدين العالمى والوطنى .وتُظهر النتيجة النهائية لهذا البحث أن إحياء الدور الاجتماعى والحضارى للتوحيد يمكن أن يشكّل استراتيجية شاملة لإعادة بناء الهوية الحضارية للأمة الإسلامية. وفى هذا السياق، فإن "مواطن الحضارة الإسلامية "ليس مجرد مفهوم نظرى، بل هو نموذج للفاعلية الأخلاقية والمشاركة المسؤولة القائمة على الكرامة الإنسانية، على المستويين الفردى والجماعى .وتحقيق هذا النموذج يتطلب إعادة التفكير فى السياسات الثقافية، والأنظمة التعليمية، والبُنى الاقتصادية، بالإضافة إلى إرادة مشتركة بين النخب الدينية والعلمية والسياسية، من أجل إحياء وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها، وتهيئة الأرضية لقيام حضارة إسلامية جديدة. ومن ثم، فإن هذا البحث، من خلال رسمه لهذا الأفق، يمكن أن يشكّل أساسًا للدراسات التكميلية وصياغة السياسات العامة فى مجال الهوية والحضارة الإسلامية فى العالم المعاصر.

الكلمات المفتاحية: التوحيد الاجتماعى، الحضارة الإسلامية، الهوية الحضارية، مواطن الحضارة الإسلامية، ميثاق المواطنة.

١ .المقدمة

يُعدّ التوحيد، بوصفه المبدأ المعرفى والأنطولوجى الأعمق فى الإسلام، حجر الأساس فى تشكيل الهوية الفردية والاجتماعية والحضارية للمسلمين منذ اللحظات الأولى لبعثة النبى محمد ﷺ. فهذا المبدأ يشكّل منظومة متكاملة من القيم والأفعال والبُنى التى تنظّم الحياة

الإنسانية على المستويين الفردى والاجتماعى فى مسار العبودية لله تعالى. وتُظهر آيات القرآن الكريم والسيرة النبوية أن التوحيد كان منذ البداية أساسًا لهوية أمة الإسلام، وقوة دافعة للتحولات السياسية والاجتماعية والأخلاقية. وهو المفهوم الذى يُشار إليه فى الأدبيات المعاصرة بـ"التوحيد الاجتماعى"، والذى يؤكد على توسيع القيم الإلهية فى فضاء الحياة الاجتماعية. ويقوم هذا المفهوم على تنظيم البُنى الاجتماعية والمؤسسات والعلاقات الإنسانية وفقًا لسيادة الله تعالى، ونفى سلطة الطاغوت، ويُعدّ العمود الفقرى للحضارة الإسلامية. لكن فى مسار التطوّر التاريخى، تراجعت تدريجيًا الأبعاد الاجتماعية للتوحيد. فمع اتساع الفتوحات وتغيّر بُنى السلطة، وهيمنة المقاربات التجريدية فى علم الكلام والفقه والتصوف، انحصر مفهوم التوحيد فى مجالات محدودة، وضعُف ارتباطه بالحياة الاجتماعية. وقد تفاقم هذا الانفصال مع دخول الاستعمار وظهور الإيديولوجيات الغربية مثل العلمانية والليبرالية والقومية فى القرون الأخيرة، مما عمّق أزمة الهوية الحضارية لدى المسلمين. وفى مواجهة هذه الأزمة، سعت تيارات من المصلحين الإسلاميين إلى إعادة قراءة البُعد الاجتماعى للتوحيد، بحثًا عن إجابة لإعادة بناء هوية الأمة. وقد شكّل انتصار الثورة الإسلامية فى إيران بقيادة الإمام الخمينى نقطة تحوّل فى هذا المسار؛ إذ نقلت الثورة مفهوم التوحيد من المجال الفردى إلى ميادين الحكم والعدالة الاجتماعية والهوية السياسية للأمة الإسلامية. وبعده، منح قائد الثورة الإسلامية، آية الله الخامنئى، توجّهًا استراتيجيًا عميقًا لإعادة بناء الهوية التوحيدية، من خلال تأكيده على خطاب "الحضارة الإسلامية الحديثة"، وتركيزه على العدالة الاجتماعية، والمقاومة، وعزّة الأمة الإسلامية. وعليه، فإن إعادة النظر فى هذا المفهوم وتبيين دوره فى إعادة بناء الهوية يُعدّ ضرورة لا غنى عنها لإحياء الحضارة الإسلامية. ومن هنا، فإن الإشكالية الرئيسة لهذا البحث تتمثل فى كيفية إعادة بناء الهوية الحضارية للمسلمين من خلال إحياء التوحيد الاجتماعى، وتبيين دور "مواطن الحضارة الإسلامية "بوصفه عنصرًا فاعلًا ومحوريًا فى هذا المسار. وبالتالى، فإن السؤال الرئيس الذى تسعى هذه المقالة للإجابة عنه هو: ما دور التوحيد الاجتماعى فى إعادة بناء الهوية الحضارية للمسلمين وتشكيل "مواطن الحضارة الإسلامية"؟

٢ .الخلفية البحثية

شهدت الأدبيات البحثية حول دور التوحيد الاجتماعى فى الحضارة الإسلامية صدور العديد من الدراسات. فعلى سبيل المثال، اعتبر عرب‌صالحى و پيشوايى (١٤٠٣ش) فى مقالتهما "وظيفة التوحيد الاجتماعى فى إعادة بناء الحضارة الإسلامية ومتطلباتها مع التركيز على القرآن وأفكار آية الله خامنئى"، أن التوحيد الاجتماعى هو محور إحياء الحضارة الإسلامية الحديثة وتشكيل الهوية الجماعية على أساس الإيمان الاجتماعى والولاية. أما پورعباس وزملاؤه (١٣٩٨ش) فى أطروحته للدكتوراه "التوحيد الاجتماعى ودوره فى بناء الحضارة الإسلامية الحديثة"، فقد تناول مراتب الحياة الاجتماعية الطائعة والمخلصة والعرفانية. وناقش إبراهيم‌نژاد وزملاؤه (١٣٩٧ش) فى مقالهم "تأملات فى وظيفة التوحيد العبادى تجاه المظاهر المادية والعيانية للحضارة الإسلامية الحديثة"، دور التوحيد العبادى فى توجيه المظاهر المادية للحضارة، ومنها إعمار الأرض. كما تناول عترت‌دوست و مخلص‌آبادى (١٤٠٣ش) فى مقالتهما "الأسس النظرية والمقومات العملية للحضارة التوحيدية من منظور الشهيد مطهرى"، التوحيد بوصفه محوراً للحضارة الإسلامية، وحلّلا عوامل تحققه فى الأسس النظرية والعملية. ورغم هذه الدراسات، لا تزال هناك فجوة أساسية فى تقديم إطار عملى ومنسجم يركّز على دور العنصر

البشرى (المواطن) ونموذج تطبيقى قائم على التوحيد الاجتماعى لإعادة بناء الهوية الحضارية. ويسعى هذا البحث إلى سدّ هذه الفجوة من خلال طرح مفهوم "مواطن الحضارة الإسلامية "وتقديم "ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية"، بما يوفّر مقاربة جديدة فى هذا المجال.

١.٣ .التوحيد الاجتماعى

فى نظر المفكرين الإسلاميين، لا يقتصر التوحيد على الإيمان بوحدانية الله تعالى، بل يشمل أيضًا نفى كلّ سلطة أو إرادة أو مرجعية مستقلة عن الله فى جميع مجالات الحياة. ومن ثمّ، فإنّ التوحيد، إلى جانب أبعاده الكلامية والعقدية، يتضمّن أبعادًا اجتماعية وسياسية وحضارية، ويؤكّد على سيادة القيم الإلهية فى المجتمع من خلال رفض العبودية لغير الله وسلطة الطاغوت (خامنئى، ١٣٧٣/١٠/١٠؛ ١٣٨٢/٧/٢٢ ش). ويُبرز التفسير الاجتماعى للتوحيد تجلّى الإيمان بوحدانية الله فى البُنى السياسية والاقتصادية والثقافية والعلاقات الإنسانية، ويحوّله إلى مبدأ استراتيجى لتنظيم الحياة الاجتماعية. وبناءً على التعاليم القرآنية، فإنّ دعوة الأنبياء الإلهيين قامت على ركيزتين أساسيتين: إثبات العبودية لله الواحد، ونفى العبودية لغيره (هود، ٥٠-٦١-٨٤؛ الأنبياء، ٢٥). ويتضمّن التوحيد الاجتماعى مؤشّرين رئيسيين: تأكيد سيادة الله فى جميع شؤون الحياة، ونفى كلّ أشكال السلطة والطاعة لغير الله فى المجالات الفردية والاجتماعية (عرب‌صالحى و پيشوايى، ١٤٠٣ ش، ص ٥٩). وكما يعبّر آية الله خامنئى: «عبودية الله تعنى أن يكون إطار الحياة فى خدمة الأوامر الإلهية؛ واجتناب الطاغوت يعنى مواجهة جميع الخطوط والتيارات التى تقف فى مواجهة خط التوحيد. الكفر بالطاغوت ملازم للإيمان بالله؛ وهذا هو هدف بعثة الأنبياء» (خامنئى، ١٣٩٨/١/١٤ ش).

٣ .الحضارة الإسلامية

الحضارة[١] مفهومٌ متعدد الأبعاد، مشتقّ من الأصل اللاتينى "civitas"الذى يعنى "المدينة "و"المواطنة " (شريعتى، ١٣٥٩ش ، ج١، ص٤). ويقابل هذا المفهوم فى اللغة العربية مصطلح "الحضارة"، وفى الفارسية يُشتقّ من كلمة "مدينة"، ويُشير إلى الحياة المدنية والنظام الاجتماعى. وقد أشار خواجه نصير الدين الطوسى فى كتابه "أخلاق ناصرى "إلى "السعادة المدنية"، مؤكّدًا بذلك على ارتباط الحضارة بالمجتمع (الطوسى، ١٣٧١ش، ص١١٨). وفى الأدبيات الغربية، غالبًا ما تُعرّف الحضارة بوصفها نظامًا اجتماعيًا يُتيح الإبداع الثقافى (دورانت، ١٣٨٧ش، ص٣). أما فى الفكر الإسلامى، فإنّ مفكرين مثل العلامة محمد تقى جعفرى يرون الحضارة تجلّيًا للحياة المعقولة؛ وهى الحياة التى يتحرّك فيها الإنسان من خلال علاقات راقية ومشاركة جماعية نحو تحقيق الأهداف المادية والمعنوية، حيث تُفعّل جميع القدرات الإنسانية (جعفرى، بى‌تا، ج٥، ص١٦٢). كما يربط الدكتور على شريعتى فى مؤلفاته الحضارة أحيانًا بالبُعد المادى

[١] civilization

للإنسان (شريعتی، ۱۳۵۹ش، ج۱، ص۹)، وأحيانًا يعتبرها حالةً روحية ودرجةً من السموّ الفكرى والمعنوى، ترتبط أكثر بالضمير التاريخى والفكرى للبشر، لا بالأدوات والتكنولوجيا (همان، ص٤٦).

استنادًا إلى هذه الرؤى، فإنّ الحضارة تُعدّ تجلّيًا للنظام العقلى والهادف فى الحياة الجماعية للإنسان، حيث تنبثق من رؤية كونية وثقافة خاصة، وتُنتج منظومات نظرية وعملية فى مجالات الأخلاق والسياسة والاقتصاد والمعرفة، وتُهيّئ الأرضية لازدهار القدرات المادية والمعنوية للبشر ضمن إطار هوية موحّدة وصانعة للتاريخ. أما الحضارة الإسلامية، فهى التجلى التاريخى والاجتماعى لهذا النظام، القائم على الوحى الإلهى، ومبدأ التوحيد، والإيمان بالمعاد، والذى يتحقّق من خلال هداية الإنسان الكامل، أى الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، بهدف تحقيق العبودية لله والحياة الطيبة، والسعى إلى تنمية الجوانب المادية والروحية للإنسان، والسير فى طريق نموّه وتكامله (سليمانى أميرى، ١٤٠٠ش، ص٣٢). ويُشير وصف "الإسلامية "فى هذه الحضارة إلى هوية وحيانية خالية من الانحرافات العلمانية، حيث إنّ جوهرها يتمثّل فى العبودية الخالصة لله ونفى كلّ مرجعية غير إلهية.

٤ .الهوية الحضارية

تُعدّ "الهوية الحضارية "من أعلى مستويات الهوية الجماعية، حيث يُدرك الفرد ذاته لا على أساس الحدود الوطنية أو القومية، بل انطلاقًا من الانتماء التاريخى والثقافى إلى منظومة حضارية معيّنة. ويتضمّن هذا الوعى معرفة القيم والأهداف والتراث التاريخى والإنجازات التى تنتمى إلى تلك الحضارة، وتشكّل الهوية الحضارية سنداً معرفيًا للفرد فى مواجهة الحضارات الأخرى (محمدى، ١٣٩٣ش، ص ١٣٧–١٣٨). ويمكن أن تكون الهوية الحضارية عابرة للحدود الوطنية، كما هو الحال فى الحضارة الإسلامية أو الحضارة الغربية، حيث تجتمع شعوب متعددة تحت أفق ثقافى ـ قيمى موحّد. وفى الحضارة الإسلامية، يُمثّل التوحيد الاجتماعى هذا الأفق الموحد والمُجمّع (كاظمى و مظاهرى، ١٣٩٥ش، ص ٤٧–٤٨).

ومن هنا، فإنّ إعادة اكتشاف الهوية الحضارية وإعادة بنائها تُعدّ من المتطلبات الأساسية لتحقيق الحضارة الإسلامية الحديثة. وفى هذا السياق، يُشكّل إعادة تعريف وإحياء مفهوم "مواطن الحضارة الإسلامية "على أساس التوحيد الاجتماعى خطوةً جوهرية فى هذا البناء. وفى النهاية، تشير الهوية الحضارية إلى وعى الإنسان التاريخى والثقافى والمعرفى بانتمائه إلى منظومة حضارية كبرى، تنبع من التوحيد وأبعاده الاجتماعية، وتُمهّد الطريق لأداء دور فاعل وواعٍ فى التفاعلات العالمية.

٥ .مواطن الحضارة الإسلامية

مواطن الحضارة الإسلامية هو الفرد الذى يُعرّف هويته الفردية والجماعية من خلال ارتباطه العميق بالمبادئ الوحيانية والتوحيدية، ويتجاوز الانتماءات القومية والوطنية ليرى نفسه عضواً فاعلًا ومسؤولًا فى الأمة الإسلامية الواحدة. وهدفه تحقيق الحياة الطيبة فى أبعادها المادية والروحية، وهو على خلاف النهج السلبى، يؤمن بالفعل الاجتماعى ويتحمّل المسؤولية.

السمات الرئيسة لهذا المواطن تشمل ما يلى:

- الالتزام بالمعتقدات التوحيدية : يُجسّد الإيمان بالله والمعاد فى قراراته وسلوكياته الاجتماعية (محمدى سليمانى، ١٣٩٨ش، ص١٠٤).
- التمسّک بالمبادئ الاجتماعية والأخلاقية: يُرسّخ فى المجتمع قيم العدالة، والأخوّة، وتحمل المسؤولية، والتعايش البنّاء (زيدان، ١٣٧٢ش، ج١، ص٣٢).
- المشاركة الفاعلة فى بناء الحضارة: يُسهم فى ازدهار الحضارة الإسلامية علميًا وثقافيًا واقتصاديًا من خلال رفض أى مرجعية غير إلهية.
- **الإحساس بالمسؤولية العالمية**: يعتبر نفسه مسؤولًا تجاه تحديات العالم الإسلامى والإنسانية، ويسعى جاهداً لمعالجتها.

وبعبارة أخرى، فإنّ مواطن الحضارة الإسلامية هو التجسيد العملى للحضارة التوحيدية، حيث يُسهم من خلال التزامه بالقيم والمبادئ فى بناء مجتمع عادل، راقٍ، ومتقدّم، ويخدم البشرية جمعاء.

٤ .العلاقة بين التوحيد الاجتماعى والهوية الحضارية: رابط لإعادة بناء المجتمع الإسلامى

يُعدّ التوحيد أساسًا للرؤية الكونية الإسلامية ومنظومةً دلاليةً شاملة، ينظّم من خلالها علاقة الإنسان بالله، وبذاته، وبالمجتمع، وبالطبيعة (مطهرى، ١٤٠٢ش/الف، ج٢، ص٧٨). وعلى المستوى الفردى، يشير هذا الأصل إلى الإيمان بوحدانية الله وعبودية الإنسان له، أما على المستوى الاجتماعى، فيتحوّل إلى "التوحيد الاجتماعى"؛ وهو مفهوم يُرسّخ الإيمان بالله الواحد فى البُنى الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويُعيد تنظيم العلاقات الإنسانية بما يؤدى إلى التقدّم والتكامل والسمو والسعادة. وفى مجتمع كهذا، تبرز كرامة الإنسان ومسؤوليته تجاه ذاته والمجتمع والعالم، ويُدفع المواطنون نحو الفاعلية الواعية، والتفكير الجماعى، والتعاطف، والتضامن الاجتماعى (مطهرى، ١٣٧٦ش، ج٢، ص٨٣).

إنّ بناء الحضارة على أساس التوحيد يُعدّ نوعًا من تشكيل المجتمع، يرتكز على المعرفة الإلهية ـ الإنسانية، وتفتح عقلانيته القائمة على التعاليم بابًا جديداً نحو تحقيق الحياة الطيبة الاجتماعية. وتعمل العقلانية الكامنة فى روح التوحيد كأداة لصياغة الكوادر، وتُهيّئ الأرضية لخلق الروحانية، واستشراف المستقبل، والواقعية، والتحليلات المجتمعية السليمة، مما يؤدى فى النهاية إلى تحقيق التقدّم المستدام (عترت‌دوست و مخلص‌آبادى، ١٤٠٣ش، ص٦). ومن جهة أخرى، تُعدّ الهوية الحضارية انعكاسًا للمعتقدات والقيم والسلوكيات المجتمعية فى سياقها التاريخى والثقافى (محمدى، ١٣٩٣ش، ص١٣٧–١٣٨). ويؤدى ترسيخ التوحيد الاجتماعى إلى تحويل الهوية الحضارية للمجتمع إلى هوية توحيدية، تُنسّق بين النظام الاجتماعى والعلم والفن والتعليم والعلاقات الاقتصادية والقانونية. وتُهيّئ مثل هذه الهوية الحضارية الأرضية لتنشئة "مواطن الحضارة الإسلامية"، ذلک المواطن الذى يُشكّل هويته الفردية والاجتماعية فى ضوء التوحيد الاجتماعى، ويدرک مسؤولياته العالمية. وبذلک، يُشكّل التوحيد الفردى، والتوحيد الاجتماعى، والهوية الحضارية ثلاث

مستويات مترابطة من تيار حضارى واحد، ويُعدّ التوحيد الاجتماعى الحلقة الوسيطة بين الإيمان الفردى والتجسيد العملى للحضارة الإسلامية. إنّ إعادة بناء الهوية الحضارية للمسلمين فى العصر الراهن تتطلّب سياسات وبُنى قائمة على القيم التوحيدية، تُوجّه المواطنين نحو الفاعلية المسؤولة؛ وكما أثبتت التجارب التاريخية للحضارة الإسلامية، فإنّ مثل هذه الآليات تُمهّد الطريق لازدهار الحضارة.

٦.دور التوحيد الاجتماعى فى تشكيل هوية مواطن الحضارة الإسلامية

يُقدّم التوحيد الاجتماعى، بوصفه مبدأً أساسيًا فى الإسلام، إطاراً لتنظيم العلاقات الاجتماعية والهياكل الثقافية والسياسية والاقتصادية (پورعباس و إبراهيم‌نژاد، ١٣٩٨ش، ص١٢٨). ويُسهم هذا المفهوم، من خلال نفى السلطة غير الإلهية، وترسيخ قيم العدالة والمساواة ووحدة الأمة، فى تهيئة الأرضية لتشكيل هوية المواطنة فى الحضارة الإسلامية. وفى هذا السياق، لا تتأسّس هوية المواطنة على العِرق أو القومية، بل على أساس القبول بسيادة الله والمشاركة الفاعلة فى البنية الاجتماعية التوحيدية. وقد وصف القرآن المؤمنين بأنهم إخوة (الحجرات، ١٠)، وعرّف الأمة الإسلامية بأنها مجتمع متماسك ذو مهام اجتماعية وسياسية.

ويُنتج التوحيد الاجتماعى، من خلال شبكة من العلاقات القائمة على العدالة والأخوّة والتعاون، هوية جماعية مسؤولة وبنّاءة للحضارة. وفى هذا الإطار، فإنّ مواطن الحضارة الإسلامية هو الفرد الذى تتشكّل هويته فى ضوء القيم التوحيدية، ويرى نفسه خليفةً لله فى الأرض (البقرة، ٣٠)، ويتحمّل المسؤولية تجاه مصير مجتمعه (المجلسى، ١٤٠٣ق، ج٧٢، ص٣٨)، ويرفض الفساد والظلم، ويتحلّى بروح التعاون والأخوّة مع سائر المسلمين (الحجرات، ١٠). وهو، إلى جانب التزامه بالأحكام الفردية، يضطلع بدور فاعل فى بناء الحضارة الإسلامية، ويفسّر الدين بوصفه مشروعًا حضاريًا (مطهرى، ١٣٧٦ش، ج٢، ص٨٤). وهكذا، يُقدّم التوحيد الاجتماعى نموذجًا لمواطنة توحيدية، يكون فيها الإنسان المسلم فى خدمة تحقيق مجتمع إلهى ومثالى، ويُشكّل هذا النموذج الأساس النظرى للحضارة الإسلامية، وهوية تتجاوز الحدود القومية والعرقية للأمة الإسلامية.

تجلّى التوحيد الاجتماعى فى سلوك المواطن فى الحضارة الإسلامية

فى الرؤية الاجتماعية للتوحيد، تكتسب جميع أبعاد الحياة الإنسانية، بما فى ذلك الأفعال الفردية والاجتماعية، توجيهاً إلهياً. وبناءً على ذلك، فإنّ المواطن فى الحضارة الإسلامية لا يكتفى بالإيمان الباطنى بالله، بل ينظّم سلوكه على أساس العبودية له. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الأصل بقوله تعالى:

«قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ» (الأنعام، ١٦٢–١٦٣).

تُبيّن هذه الآية أنّ حياة الفرد الموحّد فى المجتمع التوحيدى، فى جميع شؤونها، هى انعكاسٌ لإرادة الله وتجسيدٌ للالتزام بسيادته المطلقة.

إنّ قبول سيادة الله لا يقتصر على الإيمان القلبى، بل يتطلّب التزاماً عملياً وسلوكياً فى المجتمع. فالمجتمع التوحيدى، بوصفه مجتمعاً متماسكاً تحت ولاية الله، يقتضى من مواطنيه أن يضبطوا سلوكهم وفق مبادئ كالعدالة، والتعاون، والإيثار، وتحمل المسؤولية الاجتماعية. وهكذا، يتحوّل التوحيد فى هذا المستوى إلى إطار سلوكى–حضارى، تُضفى فيه على كل فعل إنسانى صبغةٌ وغايةٌ إلهية.

من منظور آية الله مصباح، فإنّ الإيمان الحقيقى لا يقتصر على «المعرفة»، بل هو خضوع واعٍ لسيادة الله والتزام عملى بمقتضياتها. ويؤكّد أنّ الإيمان، كالثمرة، لا بدّ أن يظهر فى السلوك الاجتماعى، وأنّ الادّعاء بالإيمان دون تحقق خارجى يبقى شكلياً وناقصاً.

لذلك، فإنّ المواطن التوحيدى هو من يقبل الله فى قلبه وفعله ربّاً للعالمين، ويؤدّى واجباته فى المجتمع على هذا الأساس؛ فيكون سلوكه تجسيداً ملموساً للتوحيد الاجتماعى، وهو ما يتجلّى فى ممارساته وتفاعلاته الاجتماعية. ويظهر هذا التوحيد العملى فى سلوك مواطنى الحضارة الإسلامية من خلال تحمّل المسؤولية، والتمسّك بالعدالة، والسعى إلى الوحدة، وتقديم المصلحة العامة على المصالح الفردية أو الفئوية. ومن منظور القائد الأعلى للثورة الإسلامية، فإنّ المسؤولية والالتزام اللذين يفرضهما التوحيد على الفرد والمجتمع الموحّد يتجاوزان الشؤون الشخصية، ليشملا أهم قضايا المجتمع، كإدارة شؤون الحكم، والاقتصاد، والعلاقات الدولية، والعلاقات بين الأفراد. إنّ التديّن التوحيدى لا يقتصر على الشعائر الفردية، بل يخلق التزاماً اجتماعياً بتحقيق العدالة، ومواجهة الظلم، والحفاظ على وحدة الأمة، ونشر الأخلاق. فالمواطن المسلم، من خلال إدراكه للصلة بين التوحيد والعدالة، يتجنّب التمييز والظلم، ويدعم البُنى العادلة، ويشارك بفعالية فى إصلاحها. وتُعدّ الوحدة والتضامن الاجتماعى شرطاً مسبقاً لقيام الأمة الواحدة والحضارة الإسلامية الجديدة، وكل خطاب يثير الفرقة يُعدّ مناهضاً للتوحيد. إنّ الإيمان بالله الواحد يدفع المواطنين إلى تفضيل المصالح الجماعية على المصالح الفردية أو الحزبية أو القومية، ويُرسّخ فى نمط حياتهم قيماً كالتضحية، والإنصاف، والحوار، والمشاركة الجماعية.

٥ .ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية بوصفه أداة لحُكم المجتمع التوحيدى

يواجه العالم الإسلامى اليوم أزمات هويّة، وضعفاً فى التماسك الاجتماعى، وتراجعاً فى بعضٍ من رأسماله الاجتماعى؛ وهى حالة ناتجة عن هيمنة الخطابات غير التوحيدية، كالعلمانية، والليبرالية، والتيارات المثيرة للفرقة. وهذه الأوضاع تتناقض مع التعاليم القرآنية، كما فى قوله تعالى: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» (الأنبياء، ٩٢).

ولمواجهة هذه الأزمة وإعادة بناء الهوية الحضارية، فإنّ صياغة «ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية» تُعدّ ضرورة لا يمكن إنكارها. ويهدف هذا الميثاق إلى إعادة تعريف مفهوم المواطنة على أساس الهوية التوحيدية، وخلق لغة مشتركة بين أبناء الأمة الإسلامية، من خلال تحويل التعاليم النظرية إلى التزامات عملية.

يرتكز ميثاق المواطنة على أربعة أصول أساسية:

التوحيد: بوصفه الأصل المنظّم للحياة الاجتماعية، يؤكّد على السيادة المطلقة لله ونفى العبودية لغيره.

الكرامة الذاتية للإنسان: تضمن المساواة الجوهرية بين جميع البشر.

المسؤولية المتبادلة بين المواطنين: كما ورد فى الحديث النبوى الشريف: «مَثَلُ المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد ...» (المجلسى، ١٤٠٣هـ ج٥٨، ص١٥٠)، وهو ما يدلّ على ضرورة التعاطف والمشاركة والدعم المتبادل داخل الأمة الإسلامية. المقاومة فى وجه الهيمنة والفساد: وهى واجب جماعى مستند إلى الأمر القرآنى: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» (هود، ١١٣). الهدف النهائى من هذا الميثاق هو الترجمة الاجتماعية للتوحيد، وإنشاء إطار مشترك للحياة السياسية والاجتماعية للأمة الإسلامية. ويُعدّ هذا الوثيقة حلقة وصل بين التنظير الإسلامى والتخطيط الحضارى، كما يُمهّد الطريق لتشكيل الحضارة الإسلامية الجديدة.

٦.الأصول المحورية لميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية

تشكل الأصول المحورية لـ«ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية» الإطارين النظرى والعملى لهذا الميثاق. فهذه الأصول، المستندة إلى الرؤية الكونية التوحيدية، لا تقتصر على توضيح الأسس الفكرية للحضارة الإسلامية، بل تؤدى أيضاً دوراً استراتيجياً فى تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للأمة الإسلامية. ومن ثمّ، يقدّم الميثاق نموذجاً شاملاً لتحقيق الحضارة الإسلامية الجديدة، ويحدّد مسار السلوك الجمعى فى المجتمع الإسلامى.

أ.	الأصول	النظرية
١	.أصل	التوحيدية

يُعدّ أصل التوحيدية الركيزة النظرية الأساسية فى ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية، إذ يقوم على الإيمان بالله وعبادته فى جميع أبعاد الحياة الفردية والاجتماعية. ويوفّر هذا الأصل إطاراً شاملاً لإعادة بناء الهوية الحضارية للمسلمين، ويؤكّد على ضرورة تنظيم جميع شؤون الحياة البشرية فى ظل التوحيد. ومن هذا المنظور، تُعدّ التوحيدية «مقاربة حضارية» تهدف إلى توجيه الإنسان والمجتمع نحو العبودية الكاملة لله تعالى. وتتناقض هذه المقاربة مع الحضارة المادية الحديثة التى تقوم على مركزية الإنسان وإنكار المرجعية الميتافيزيقية. فى المقابل، تعتمد الحضارة الإسلامية على مبدأ التوحيد فى تنظيم العلاقات النظرية والعملية فى المجالين الفردى والاجتماعى، على أساس ألوهية الله وعبودية الإنسان.وعليه، فإنّ التوحيدية، بوصفها منهجاً أساسياً، توفّر إطاراً لتحليل وتنظيم وتوجيه الحياة البشرية. وإنّ الحفاظ على هذه المرجعية التوحيدية يُمكّن الأمة الإسلامية من تجنّب الانحراف نحو النظم المادية والعلمانية عند مواجهة التحديات الجديدة، ويُسهم فى ترسيخ الأساس النظرى لهويتها الحضارية.

٢.أصل كرامة الإنسان

تُعدّ الكرامة الذاتية للإنسان من أهمّ الأصول فى الرؤية الكونية التوحيدية، وهى أساس التعامل المتكافئ فى المجتمع الإسلامى. وقد أعلن القرآن الكريم كرامة جميع البشر دون تمييز عرقى أو قومى أو جنسى، بقوله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ» (الإسراء، ٧٠)، وجعل التقوى المعيار الوحيد للتفاضل بينهم (الحجرات، ١٣). ويُشكّل هذا التعليم الأساس النظرى لرفض كل أشكال التمييز فى المجتمع الإسلامى.

وقد أكّدت المصادر الروائية هذا الأصل أيضاً؛ فقد قال النبى الأكرم ﷺ: «الناس سواءٌ كأسنان المشط» (المجلسى، ١٤٠٣هـ ج٥٧، ص٢٥١)، وذكّر الإمام على عليه السلام فى رسالته إلى مالك الأشتر: «فإنهم صنفان؛ إما أخٌ لك فى الدين، وإما نظيرٌ لك فى الخلق» (نهج‌البلاغة، الرسالة ٥٣). وهذان النصّان يُجسّدان بوضوح مبدأ المساواة بين البشر فى المجالين الاجتماعى والسياسى.

كما اعتبر القائد الأعلى للثورة الإسلامية كرامة الإنسان من مبادئ النظام الإسلامى، قائلاً: «النظام الإسلامى يؤمن بكرامة الإنسان؛ الإنسان بما هو إنسان، لا الإنسان من منطقة معيّنة، أو من عرق معيّن، أو بلون معيّن. «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ»؛ لقد كرّمنا بنى آدم، وهذا هو القرآن؛ الإنسان الأسود من منطقة السود أيضاً هو من بنى آدم؛ لا فرق إطلاقاً. هذا المنطق التمييزى الذى روّجه الغربيون بشكل فاضح ومارسوه، ولا يزالون يمارسونه حتى اليوم، هو مناقض تماماً للقرآن وللإسلام؛ والنظام الإسلامى يعارضه» (خامنئى، ١٤٠٢/٥/٢٦ش).

وفى المحصّلة، تُعدّ كرامة الإنسان أساساً للتضامن والتعايش العادل فى المجتمع الإسلامى، ومن خلال رفض الهيمنة والتمييز، يُعاد تعريف هوية المواطن فى الحضارة الإسلامية، ويُمهّد الطريق للنمو ومواجهة الظلم والتمييز.

٣.العدالة بوصفها منظِّمة للعلاقات الاجتماعية

تحظى العدالة فى الفكر الإسلامى بمكانة تتجاوز كونها مبدأً أخلاقياً، إذ تُعدّ قاعدةً أساسية لتنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية فى المجتمع التوحيدى. وقد قدّم القرآن الكريم العدالة بوصفها أمراً إلهياً ومعياراً ملزماً للحياة الاجتماعية، كما فى قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ» (النحل، ٩٠)، وقوله: «وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى» (الأنعام، ١٥٢)، حيث يُشدّد على ضرورة مراعاة العدالة حتى فى التعامل مع أقرب الناس.

وقد اعتُبرت العدالة فى السيرة النبوية والعلوية أساساً للحكم وبقاء الأمة وتماسكها. فقد قال النبى الأكرم ﷺ: «الملكُ يبقى بالعدلِ مع الكفر، ولا يبقى الجورُ مع الإيمان» (الشعيرى، بلا تاريخ، ص ١١٩)، وقال أمير المؤمنين على عليه السلام فى نهج البلاغة: «العدلُ أساسٌ به قِوامُ العالم» (المجلسى، ١٤٠٣هـ ج٧٥، ص ٨٣). كما ورد فى رسالته إلى مالك الأشتر أنّ العدالة معيارٌ لتقييم الولاة، وأساسٌ لأمن المجتمع وتضامنه (نهج‌البلاغة، الرسالة ٥٣).

وفى فكر المفكرين المعاصرين، تبقى العدالة مبدأً محورياً فى الإسلام؛ فقد اعتبرها الشهيد مطهرى أساساً للحقوق وأولويات البشر، ومعنىً لرفض كل أشكال التمييز (مطهرى، ١٤٠٢ب، ص ٥٦).

كما أكّد القائد الأعلى للثورة الإسلامية أنّ العدالة هى معيار مشروعية النظام الإسلامى (خامنئى، ١٣٨٢/٨/٢٣ش)، وشرطٌ مسبق لتحقيق الحضارة الإسلامية الجديدة (خامنئى، ١٤٠٠/١١/٢٨ش).

وفى ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية، تُعدّ العدالة قاعدةً أساسية لتنظيم العلاقات الاجتماعية، تضمن المساواة القانونية، والتوزيع العادل للفرص، وإزالة التمييز، وصون كرامة الإنسان. فالمجتمع التوحيدى لا يملك تماسكاً ولا هويةً مستدامة دون العدالة، وهى المحرّك الأساسى لمواجهة الاستبداد والهيمنة الداخلية والخارجية.

٤ .أصل الأخوّة الإسلامية

تُعدّ الأخوّة الإسلامية من المبادئ الاجتماعية الأساسية فى الإسلام، ولها دور حاسم فى تشكيل هوية الأمة الواحدة. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الأصل بقوله تعالى: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (الحجرات، ١٠)، حيث يُقدَّم مبدأ الأخوّة بوصفه أساساً للمسؤولية الاجتماعية فى الإصلاح والتضامن.

وقد تناول العلّامة الطباطبائى فى تفسير الميزان هذا الأصل بتحليلٍ على مستويين: طبيعى واعتبارى. فالأخوّة الطبيعية، بحسب رأيه، لا أثر لها فى الشرائع والقوانين، بينما الأخوّة الاعتبارية فى الإسلام تُنتج آثاراً تشريعية واجتماعية معتبرة (الطباطبائى، ١٣٨٧هـ ج١٨، ص٤٧٢).

وتُعدّ سيرة النبى الأكرم ﷺ دليلاً واضحاً على المكانة المحورية لهذا الأصل؛ إذ إنّ أول إجراء اجتماعى بعد الهجرة إلى المدينة كان عقد ميثاق الأخوّة بين المهاجرين والأنصار، وهو من أهمّ عوامل تأسيس الدولة الإسلامية وتحقيق التماسك الاجتماعى فى المدينة (ابن هشام، بلا تاريخ، ج١، ص٥٠٤). وفى الفكر المعاصر، يُطرح مبدأ الأخوّة الإسلامية كاستراتيجية لمواجهة التفرقة والهيمنة. وقد اعتبر القائد الأعلى للثورة الإسلامية هذا الأصل من أركان وحدة المسلمين (خامنئى، ١٣٦٩/٨/٢٩ش). وعليه، يُعدّ مبدأ الأخوّة فى ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية أساساً لتعزيز التضامن الاجتماعى، وحلّ النزاعات الطائفية، وبناء مجتمعٍ متماسكٍ ومُنتجٍ للحضارة. فهذا الأصل يُشكّل من جهةٍ قاعدةً للمسؤولية الاجتماعية بين المسلمين، ومن جهةٍ أخرى يُوفّر طاقة حضارية لمواجهة الانقسامات المفروضة، والاستعمار، والهيمنة الثقافية والسياسية.

ب. الأصول العملية

١ .نمط الحياة التوحيدى

تُعدّ أنماط الحياة فی کل مجتمع انعکاساً للمنظومات القیمیة والمعاییر السائدة فیه. فالمعتقدات والطموحات الکبری، بوصفها عناصر محوریة فی کل عالم اجتماعی، تؤدّی دوراً حاسماً فی تشکیل الأفعال والأخلاق، وفی نهایة المطاف نمط الحیاة. ومن هنا، فإنّ اختلاف الرؤی الکونیة والمعتقدات یؤدّی إلی اختلاف فی المنظومة الأخلاقیة، ویظهر هذا الاختلاف فی صورة أنماط حیاتیة متمایزة (حداد عادل، ۱۳۸۹ش، ص۷۳).

ومن بین الرؤی الکونیة المختلفة، تحظی الرؤیة التوحیدیة بمکانة متمیّزة؛ إذ إنّ الإیمان بالله الواحد لیس مجرّد فکرة ذهنیة أو نظریة فلسفیة، بل هو أساس عملی لحیاة المؤمنین. فهذه العقیدة تنظّم إطار حیاتهم الفردیة والاجتماعیة، وتؤثّر تأثیراً جوهریاً فی قراراتهم الحیاتیة (علی خانی، ۱٤۰۳ش، ص۲۲۷).

ویقدّم التوحید، من خلال رسم منظومة معنویة وقواعد أخلاقیة وعبادیة، نموذجاً شاملاً للحیاة. وفی ظلّ هذا الإیمان، یختار المؤمنون نمط حیاة متمیّزاً یستند إلی القیم التوحیدیة فی مجالات الأسرة، والاقتصاد، والسیاسة، والثقافة (همان، ص۲۲۹).

وقد رسم القرآن الکریم نمط الحیاة التوحیدی بوضوح، مؤکّداً علی مرکزیة الله فی جمیع شؤون الحیاة، کما فی قوله تعالی: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِی وَنُسُکِی وَمَحْیَایَ وَمَمَاتِی لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِینَ» (الأنعام، ۱٦۲)، حیث تُظهر الآیة أنّ حیاة الإنسان المسلم، فرداً ومجتمعاً، یجب أن تتوجّه بکلیّتها نحو الله. کما یُقیم القرآن توازناً دینامیکیاً بین الدنیا والآخرة، بقوله: «وَابْتَغِ فِیمَا آتَاکَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِیبَکَ مِنَ الدُّنْیَا» (القصص، ۷۷).

ومن ثمّ، یتشکّل نمط الحیاة التوحیدی فی جمیع أبعاد الإنسان وسلوکیاته، ویجری التوحید فی کل جوانب وجوده وحیاته (إبراهیم‌نژاد و همکاران، ۱۳۹۷ش، ص۱۱).

وقد اعتبر القائد الأعلی للثورة الإسلامیة نمط الحیاة جزءاً حقیقیاً وجوهریاً من الحضارة، مؤکّداً أنّ التقدّم الحقیقی لا یتحقّق بمجرد تطویر التکنولوجیا والبنیة التحتیة، بل یتوقّف علی إصلاح نمط الحیاة الفردیة والاجتماعیة للمسلمین (خامنئی، ۱۳۹۱/۷/۲۳ش).

وعلیه، فإنّ نمط الحیاة التوحیدی یُعدّ من الأصول العملیة فی میثاق المواطنة فی الحضارة الإسلامیة، وهو تجلٍّ ملموس للإیمان بالتوحید فی الحیاة الیومیة. ویُلزم هذا النمط المواطن فی الحضارة الإسلامیة بتجنّب الإسراف، وتعزیز بنیان الأسرة علی أساس المودّة والرحمة، ومراعاة العدالة والصدق فی العلاقات الاجتماعیة، والاستفادة من الثقافة والتکنولوجیا ضمن إطار القیم الإلهیة.

۲ .السعی نحو العلم والتقدّم

یُعدّ الالتزام بتحصیل العلم النافع والاستفادة من التقنیات الحدیثة من الأصول العملیة فی میثاق المواطنة فی الحضارة الإسلامیة، وهو رکنٌ أساسی فی إعادة بناء الهویة الحضاریة للمسلمین. وتُقدّم تعالیم القرآن الکریم والسنّة النبویة العلم بوصفه رسالةً إلهیة؛ إذ یدعو

الله تعالى الإنسان إلى استخدام العقل والتفكّر، كما فى قوله: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (الزمر، ٩)، ويجعل من عمارة الأرض هدفاً للخلق عبر الفعل الواعى للإنسان: «هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» (هود، ٦١).

وقد اعتبر النبى الأكرم ﷺ طلب العلم واجباً عاماً (المجلسى، ١٤٠٣هـ ج٦٧، ص٦٨)، وعرّف الإمام على عليه السلام العلم بأنّه مصدر للهداية والنجاة، قائلاً: «إنّ العلم يهدى ويرشد وينجى، وإنّ الجهل يُغوى ويُضلّ ويُردى» (ليثى واسطى، ١٣٧٦ش، ص١٥٤).

ومن منظور توحيدى، ينبغى أن يكون العلم والتكنولوجيا فى خدمة ارتقاء الإنسان وتربية النخب، وأن يرتبطا ارتباطاً وثيقاً بالأخلاق والمعنوية؛ خلافاً للنظرة الأداتية فى الحداثة التى حوّلت التكنولوجيا أحياناً إلى وسيلة للهيمنة أو الاستهلاك المفرط. وفى هذا السياق، تُنظَّم جميع الأنشطة العلمية والاجتماعية للمسلمين على أساس رضا الله والعدالة (پورعباس،١٣٩٨ش، ص١٨١).

وقد اعتبر القائد الأعلى للثورة الإسلامية العلم أساساً للحضارة الإسلامية (خامنئى، ١٣٨٢/٢/٢٢ش)، ورأى أنّ التقدّم العلمى شرطٌ للقوة والعزّة، قائلاً: «العلم بالنسبة لأىّ أمة هو وسيلة لتحقيق القوة والثروة الوطنية» (خامنئى، ١٣٨٧/٦/٥ش).

وعليه، فإنّ مبدأ العلم والتقدّم فى ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية يعنى التزاماً جماعياً بإنتاج المعرفة النافعة، والاستخدام الذكى للتقنيات الحديثة، وإحياء روح الاجتهاد والإبداع، وربط العلم بالقيم التوحيدية والأخلاقية؛ وهو توجّه يجعل من العلم محرّكاً للحضارة الإسلامية، وممهّداً لدورٍ فاعل للمسلمين فى الساحة العالمية.

٣.مكافحة الظلم والفساد

تُعدّ مكافحة الظلم والفساد من المبادئ الأساسية فى ميثاق المواطنة فى الحضارة الإسلامية؛ وهو مبدأ متجذّر فى التعاليم التوحيدية والفهم الاجتماعى للتوحيد. ففى الرؤية الكونية التوحيدية، السيادة المطلقة لله تعالى، وكلّ شكل من أشكال الاستبداد والفساد يُعدّ خروجاً عن دائرة العبودية وانتهاكاً لمبدأ التوحيد الاجتماعى. وقد أكّد القرآن الكريم مراراً على حرمة الظلم، واعتبره سبباً لهلاك الأمم، كما فى قوله تعالى: «وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا» (الكهف، ٥٩).

ومن المنظور الاجتماعى، يُعدّ الفساد، ولا سيّما الفساد البنيوى والاقتصادى، من العوامل الرئيسة لانهيار الحضارات. وقد نسب القرآن الكريم مصير الأمم السابقة إلى فسادها، بقوله: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ» (العنكبوت، ٤٠). وفى هذا السياق، تُعدّ مكافحة الفساد إصلاحاً اقتصادياً وسياسياً، وصوناً للتوحيد الاجتماعى، وحمايةً للعدالة الإلهية فى العلاقات الإنسانية.

وقد أكّد العلّامة الطباطبائی فی تفسیر المیزان أنّ التوحید هو الأساس الوحید الذی ینبغی أن تُبنی علیه القوانین الفردیة والاجتماعیة (الطباطبائی، ۱۳۸۷ش، ج۲، ص۹۹). کما شدّد القائد الأعلی للثورة الإسلامیة مراراً علی أنّ «مکافحة الفساد من الرکائز الأساسیة للحکم والنظام الإسلامی، وهی منهج أمیر المؤمنین» (خامنئی، ۱۳۸۰/۹/۱٦ش)، واعتبر الفساد تهدیداً للثقة العامة وتماسک الأمة الإسلامیة، مؤکّداً علی ضرورة مواجهته بعزمٍ جاد (خامنئی، ۱۳۸۳/۳/۲۷ش).

وعلیه، فإنّ مکافحة الظلم والفساد فی میثاق المواطنة فی الحضارة الإسلامیة تُعدّ مبدأً عملیاً لإعادة بناء الهویة الحضاریة للمسلمین. ویُسهم هذا المبدأ، من خلال العودة إلی التوحید الاجتماعی ونفی الهیمنة، فی تعزیز رأس المال الاجتماعی للأمة، وتحقیق التضامن العابر للحدود. کما أنّ ترسیخ العدالة یُعبّئ الطاقات المادیة والمعنویة فی مسار بناء الحضارة. ولا یمکن تحقیق الحضارة الإسلامیة دون مواجهة بنیویة للظلم والفساد؛ إذ إنّ العدالة والشفافیة وحدهما یُتیحان ازدهار الطاقات الإنسانیة، ویُعیدان صیاغة الهویة الحضاریة علی أساس التعالیم التوحیدیة.

٤ .التعایش السلمی

یُعدّ مبدأ التعایش السلمی من المبادئ العملیة الأخری فی میثاق المواطنة فی الحضارة الإسلامیة؛ وهو مبدأ متجذّر فی التعالیم التوحیدیة والفهم الاجتماعی للتوحید. ففی الرؤیة الکونیة التوحیدیة، جمیع البشر مخلوقون لله الواحد، ویتمتّعون بکرامة ذاتیة، کما فی قوله تعالی: «وَلَقَدْ کَرَّمْنَا بَنِی آدَمَ» (الإسراء، ۷۰). وبناءً علیه، فإنّ التعایش السلمی یُعدّ واجباً إلهیاً واجتماعیاً علی الأمة الإسلامیة.

وقد أکّد القرآن الکریم علی رفض الإکراه فی الدین والدعوة إلی السلم، کما فی قوله تعالی: «لَا إِکْرَاهَ فِی الدِّینِ» (البقرة، ۲۵٦)، وقوله: «وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا» (الأنفال، ٦۱). وتُظهر هذه الآیات أنّ الإسلام یقبل التعایش مع أتباع الدیانات الأخری، بل ومع المخالفین فکریاً، ما لم یتحوّل الخلاف إلی عداء أو عدوان. وفی هذا السیاق، یخاطب القرآن البشریة جمعاء بعبارات مثل «یَا بَنِی آدَمَ» و«یَا أَیُّهَا النَّاسُ»، داعیاً إلی المعاملة الحسنة، وردّ السیئة بالحسنی، ونبذ العنصریة. کما یحثّ المسلمین علی إقامة علاقات سلیمة مع سائر الأمم، بما فی ذلک أهل الکتاب، وینهاهم عن التفرّق والنزاعات والحروب المذهبیة، ویؤکّد بدلاً من ذلک علی البحث عن القواسم المشترکة، وأهمّها التوحید وعبادة الله الواحد (الأعراف، ۲٦–۲۷–۳۵؛ العنکبوت، ٤٦؛ فصلت، ۳۳–۳۵).

وقد تجلّی هذا المبدأ فی صدر الإسلام؛ إذ أرسی النبی الأکرم ﷺ فی المدینة، من خلال عقد میثاق الأخوّة، نموذجاً تاریخیاً للتعایش السلمی بین المسلمین والیهود وسائر الجماعات، ممّا أسّس لمجتمع متعدّد ومتماسک فی آنٍ واحد (جعفریان، ۱۳۸۵ش، ج۱، ص٤۳۰–٤۵۰).

ویری العلّامة الطباطبائی أنّ الغیرة والتعصّب نزعة طبیعیة فی الإنسان، وقد طهّرها الإسلام من الشوائب القومیة والنفسیة، ووجّهها نحو التوحید؛ فهی لا تکون مشروعة إلا إذا کانت فی سبیل الحق والقیم الإلهیة، وإلا فإنّها تُفضی إلی التفرقة. ومن هذا المنطلق، یُعدّ التعایش

السلمی قاعدةً ثابتة نابعة من التوحید (الطباطبائی، ۱۳۸۷ش، ج٤، ص٦٧٤). وفی میثاق المواطنة فی الحضارة الإسلامیة، یُؤدّی التعایش السلمی دوراً أساسیاً فی إعادة بناء الهویة الحضاریة للمسلمین. فهذا المبدأ یمنح التنوّع معنیً فی إطار الوحدة الإلهیة، ویحول دون تحوّل الاختلافات إلی صراعات مدمّرة، ویُمهّد لالتقاء الأمة وتفاعلها الإیجابی مع سائر الشعوب والأدیان. کما أنّه، من خلال تعزیز التسامح، یُسهم فی توظیف رأس المال الاجتماعی والطاقات العلمیة والثقافیة والاقتصادیة فی مسار بناء الحضارة. ولا یمکن أن تزدهر الحضارة الإسلامیة إلا فی بیئة خالیة من العنف والتمییز.

۷. النتیجة

إنّ التوحید، بوصفه أساساً للرؤیة الکونیة الإسلامیة، لا یُعدّ مجرّد مبدأ اعتقادی، بل هو إطارٌ حضاری ینظّم علاقة الإنسان بالله، وبذاته، وبالمجتمع، وبالطبیعة، ویتحوّل علی المستوی الاجتماعی إلی «توحید اجتماعی». وتُظهر إعادة قراءة هذا المبدأ فی العصر الراهن أنّ إحیاء الهویة الحضاریة للمسلمین لا یتحقّق إلا من خلال ترجمة التوحید إلی واقع اجتماعی، وترسیخه فی البُنی والسلوکیات الجماعیة. وفی هذا السیاق، یُمثّل «میثاق المواطنة فی الحضارة الإسلامیة» جهداً منظّماً لإعادة تعریف مفهوم المواطنة علی أساس الهویة التوحیدیة، وإنشاء لغة حضاریة مشترکة بین أبناء الأمة الإسلامیة؛ وهو میثاقٌ یربط بین التعالیم النظریة والالتزامات العملیة، ویُمهّد الطریق نحو الوحدة والتقدّم فی سبیل تحقیق الأمة الواحدة. وقد بیّنت نتائج هذا البحث أنّ الأصول النظریة للمیثاق ـ کالتوحیدیة، وکرامة الإنسان، والعدالة بوصفها قاعدة لتنظیم العلاقات الاجتماعیة، والأخوّة ـ إلی جانب أصوله العملیة ـ کنمط الحیاة التوحیدی، والسعی نحو العلم والابتکار، ومکافحة الظلم والفساد، والتعایش السلمی ـ تُشکّل البنیة المفهومیة والاستراتیجیة لهذا الوثیقة، ویمکن أن تُعتمد أساساً لإعادة بناء الهویة المدنیة والحضاریة للمسلمین. وعلی هذا الأساس، فإنّ الحضارة الإسلامیة الجدیدة لا تتعارض مع منجزات البشریة، بل تقوم علی التوحید الاجتماعی، وتنظیمٍ متماسکٍ للحیاة السیاسیة والثقافیة والاقتصادیة للأمة الإسلامیة.

المصادر

القرآن کریم.

نهج‌البلاغه.

ابراهیم‌نژاد، محمدرضا و همکاران (۱۳۹۷). تأملی در کارکرد توحید عبادی نسبت به مظاهر عینی و مادی تمدن نوین اسلامی. *تاریخ اسلام در آینهٔ پژوهش*، شماره ٤٥، ص ٥-٢٤.

ابن‌هشام (بی‌تا). *السیرة النبویة*. دار المعرفة، ج۱.

پورعباس، محمد؛ ابراهیم‌نژاد، محمدرضا (۱۳۹۸). دکترین توحید اجتماعی اندیشه‌ای بنیادین در تکامل هندسهٔ توحیدی و تعالی معنوی موحدان. *پژوهش‌های عقلی نوین*، شماره ۷، ص ۱۳۹-۱۱۷.

پورعباس، محمد (۱۳۹۸). *توحید اجتماعی و نقش آن در تمدن‌سازی نوین اسلامی*. رسالهٔ دکتری. تهران: دانشگاه علامه طباطبایی.

جعفریان، رسول (۱۳۸۵). *تاریخ سیاسی اسلام*. قم: دلیل ما، ج۱.

جعفری، محمدتقی (بی‌تا). *ترجمه و تفسیر نهج‌البلاغه*. دفتر نشر فرهنگ اسلامی، ج۵.

حداد عادل، غلامعلی (۱۳۸۹). *مجموعه مقالات نشست اندیشه‌های راهبردی*. تهران: دبیرخانه نشست اندیشه‌های راهبردی و انتشارات پیام عدالت.

خامنه‌ای، سید علی (۱۴۰۰/۱۱/۲۸). *بیانات در ارتباط تصویری با مردم آذربایجان شرقی*. قابل دسترس در:https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=49633

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۸۰/۹/۱۶). *بیانات در خطبه‌های نماز جمعه ۲۱ رمضان*. قابل دسترس در:https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3096

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۸۲/۸/۲۳). *بیانات در خطبه‌های نماز جمعه*. قابل دسترس در:https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3204

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۸۲/۲/۲۲). *بیانات در دیدار اساتید دانشگاه شهید بهشتی*. قابل دسترس در:https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3175

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۸۲/۷/۲۲). *بیانات در دیدار جمعی از دانشجویان زنجان*. قابل دسترس در: https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3199

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۹۸/۱/۱۴). *بیانات در دیدار با مسئولان نظام و سفرای کشورهای اسلامی*. قابل دسترس در: https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=42152

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۹۱/۷/۲۳). *بیانات در دیدار جوانان استان خراسان شمالی*. قابل دسترس در: https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=21252

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۶۹/۸/۲۹). *بیانات در دیدار رئیس جمهور موقت و رهبران احزاب اسلامی افغانستان*. قابل دسترس در: https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=2382

خامنه‌ای، سید علی (۱۴۰۲/۵/۲۶). *بیانات در دیدار فرماندهان سپاه پاسداران*. قابل دسترس در: https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=53582

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۷۳/۱۰/۱۰). *بیانات در دیدار کارگزاران نظام*. قابل دسترس در: https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=2735

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۸۷/۶/۵). *بیانات در دیدار نخبگان جوان دانشگاهی*. قابل دسترس در:https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=۳۶۸۵

خامنه‌ای، سید علی (۱۳۸۳/۳/۲۷). *بیانات در دیدار نمایندگان مجلس*. قابل دسترس در: https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3235

دورانت، ویلیام جیمز (۱۳۸۷). *مشرق زمین، گاهوارهٔ تمدن*. ترجمهٔ احمد آرام و همکاران. تهران: شرکت انتشارات علمی و فرهنگی.

زیدان، جرجی (۱۳۷۲). *تاریخ تمدن اسلام*. ترجمهٔ علی جواهر کلام. تهران: امیرکبیر، ج۱.

سلیمانی امیری، محمدجواد (۱٤۰۰). *تاریخ و تمدن اسلامی*. قم: موسسه امام خمینی.

شریعتی، علی (۱۳۵۹). *تاریخ تمدن*. تهران: بی‌نا، ج۱.

شعیری، محمد بن محمد (بی‌تا). *جامع الأخبار*. نجف أشرف: المطبعة الحیدریة.

طباطبایی، سید محمدحسین (۱۳۸۷). *ترجمهٔ تفسیر المیزان*. ترجمهٔ محمدباقر موسوی همدانی. قم: دفتر انتشارات اسلامی، ج۱۸، ۲، ٤.

عترت‌دوست، محمد؛ مخلص‌آبادی، مبارکه (۱٤۰۳). مبانی نظری و بنیان‌های تمدن توحیدی از منظر شهید مطهری. *مطالعات بنیادین تمدن نوین اسلامی*، شماره ۱۳، ص ۱-۳۲.

عرب‌صالحی، محمد؛ پیشوایی، فریده (۱٤۰۳). *توحید اجتماعی (با تأکید بر قرآن و اندیشه‌های آیت‌الله خامنه‌ای)*. تهران: پژوهشگاه فرهنگ و اندیشه اسلامی.

علی‌خانی، اسماعیل (۱٤۰۳). کارکرد توحید در سبک زندگی. *پژوهشنامهٔ فلسفهٔ دین*، شماره ٤۳، ص ۲٤۸-۲۲۱.

کاظمی، مجتبی؛ مظاهری، ابوذر (۱۳۹۵). الزامات شکل‌گیری هویت تمدنی در افق مهدوی. *مشرق موعود*، شماره ۳۹، ص ٦٦-٤۱.

لیثی واسطی، علی بن محمد (۱۳۷٦). *عیون الحکم و المواعظ*. قم: مؤسسهٔ علمی فرهنگی دارالحدیث.

مجلسی، محمدباقر (۱٤۰۳ق). *بحار الأنوار*. بیروت: دار إحیاء التراث العربی، ج۷۲، ۵۸-۵۷، ٦۷، ۷۵.

محمدی سلیمانی، یوسف (۱۳۹۸). واکاوی مؤلفه‌های حقوق شهروندی در تمدن اسلامی با تأکید بر آیات قرآن. *حقوق پزشکی*، شماره ۱۳، ص ۹۹-۱۱۰.

محمدی، محسن (۱۳۹۳). تحلیل عملکرد گروه‌های تکفیری در تضاد با هویت تمدنی مسلمانان. *اسلام و مطالعات اجتماعی*، شماره ۱، ص ۱۵۳-۱۳۵.

مطهری، مرتضی (۱٤۰۲الف). *اسلام و نیازهای زمان*. تهران: صدرا، ج۲.

مطهری، مرتضی (۱۳۷٦). *مجموعه آثار*. تهران: صدرا، ج۲.

مطهری، مرتضی (۱٤۰۲ب). *عدل الهی*. تهران: صدرا.

طوسی، محمد بن محمد (۱۳۷۱). *اخلاق ناصری*. تهران: علمیه اسلامیهٔ.